الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية

للدكتور جوزيف نسيم يوسف

اتسمت الحروب الصليبية فى ظاهرها بميسم دينى استهدف به الغرب الأوروبى امتلاك الأراضى المقدسة وتخليص قبر المسيح من قبضة العرب . وواقع الأمر أنها لم تكن سوى حروبا استعمارية بعيدة كل البعد عن الغرض الدينى ، الذى ما قصد به الا إثارة الحماس والتعصب فى نفوس أهل الغرب . ولا جدال فى أنه كان للكنيسة اللاتينية وقتذاك سيطرتها المطلقة فى أوروبا . فقد تغلغل الدين فى حياة الأفراد الخاصة والعامة ، الأمر الذى مكن الكنيسة من تعبئة هذا الشعور وتوجيهه فى حرب عدوانية ضد الشرق استمرت قرابة ثلاثمائة عام أو يزيد . وقد ترتب عليها من الآثار ما لا يزال إحقيقة قائمة حتى يومنا هذا .

ولقد قامت تلك الحركة نتيجة لعدة عوامل متشابكة معقدة متداخلة فى بعضها ، منها الرئيسى والثانوى ، ومنها المباشر وغير المباشر ، ومنها الخفى والظاهرى . ومن أهم هذه العوامل نظرة الغرب الى الشرق منذ أقدم العصور باعتباره مهبط الوحى والأديان ومهد العلم والمعرفة ومركز الحضارة والاشعاع الثقافى . وكذلك تطور حركة الحج الى الأراضى المقدسة عبر القرون الطويلة ، وتعد فكرة الحروب المسيحية المقدسة ضد العرب فى الغرب الأوروبى منذ القرن التاسع الميلادى حتى قيام الحركة الصليبية فى ختام القرن الحادى عشر . هذا بالاضافة الى الأحوال السياسية السائدة فى الغرب اللاتينى ودولة الروم والعالم العربى وقتذاك . (١) كل هذه العوامل متكاتفة اسهمت فى

---

(١) لا يخلو كتاب من كتب الحروب الصليبية أو أحد فصولها من الحديث عن عوامل قيام هذه الحروب . فمن المراجع الأفرنجية يجب أن نذكر مؤلفات ميشو ، وبريهيه ، وشالندون ، وجروسيه ، وراتسيفان . ومن المراجع العربية والمعربة نذكر : ديفز : أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى ، ص ١٧٨ — ٢٠٨ ، والدكتور عمر كمال : ملكة بيت المقدس الصليبية ص ٩ — ٢٢ ، وباركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني ، ص ١١ — ٣٦ .

التمهيد للحروب الصليبية وتهيئة الجو والأذهان لقبولها ، تحقيقا لأغراض وأطماع بعيدة الغور فى سير مجرى التاريخ .

واذا كان لنا أن نتناول الأسباب التى هيأت الجو لقيام هذه الحروب ، وأدت فى نهاية الأمر الى احتكاك أهل الغرب بكل من العرب والروم فى الشرق ، فأننا سنكشف فى هذا المقال عن الرجل الذى مثل دورا رئيسيا فيها والدافع الشخصى فى قيامها .

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا إنه بحث شاق وعر ، دار حوله الكثير من الخلاف بين المؤرخين ، اذ تباينت فيه النظريات ، ولم يبت فيه برأى قاطع حتى الآن . ولم يدرس هذا الموضوع الآن دراسة وافية ، ولم يظهر فيه كتاب أو بحث مستقل قائم بذاته يلم بكل أطرافه ونواحيه . وكل ما هنالك نتف وشذرات مبعثرة هنا وهناك لا تشفى غلة الباحث . ولذلك أصبح لزاما على المتصدى له تتبعه فى شتى المصادر والأصول من شرقية وغربية ، معاصرة وغير معاصرة .

لقد حاول كثير من المؤرخين اسناد هذه الحركة الى شخص دون آخر أو الى عامل بالذات دون عوامل أخرى . كما لعبت الأساطير والخرافات دورا كبيراً فى هذا الصدد . فهناك مثلا من ينسب أمر قيامها الى الامبراطور شارلمان وأغنية رولان المعروفة . وجعل البعض الآخر من بطرس الناسك داعية هذه الحروب ومنفذا لها . وهناك طائفة من المؤرخين تعزى قيامها الى امبراطور الدولة البيزنطية الكسيس كومنين . بينما يرى كثير من المؤرخين المحدثين أن الدور الأول ينسب الى الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية وبابوية روما ، وبخاصة البابا أربان الثانى الذى سعى جاهدا على أن يقوم فى الشرق الغربى بنفس العمل الذى سبق أن قامت به جماعة كلونى الديرية ضد العرب فى أسبانيا قبل قيام الحروب الصليبية بحوالى نصف قرن . وسنتناول فيما يلى أهم هذه النظريات والأفكار بالدراسة والتحليل .

(أولا) أنشودة رولان وقصيدة حج شارلمان :

فى سنة ٤٦٧ سقطت الامبراطورية الرومانية القديمة إثر هجمات البرابرة عليها . وأسست هذه العناصر المتبربرة دويلات جرمانية على انقاض الامبراطورية المنهارة . فاستقر الانجلوسكسون فى الجزيرة البريطانية ، والقوط الشرقيون فى ايطاليا ، والغربيون فى أسبانيا ، بينما أسس الفرنجة مملكة لهم شملت مساحات عظيمة فى غرب أوروبا من بينها فرنسا وأجزاء واسعة من ألمانيا التى تعتبر موطن الفرنجة الاصلى . وقد آلت هذه المملكة فى أخريات القرن الثامن الى الكارولنجيين وعلى رأسهم شارلمان أو شارل العظيم . ويعتبر حكمه الذى امتد من سنة ٧٦٨ الى ٨١٤ من الفترات الهامة الخاصة فى تاريخ الغرب الأوروبى الوسيط ، لما يرتبط به من احياء الامبراطورية الرومانية المقدسة وتقدم الحضارة وازدهار العلوم والآداب والفنون وقتذاك .

ففى ظل هذه الظروف المواتية واصل شارلمان جهود سلفه شارل مارتل فى محاولته اليائسة القضاء على حكم العرب فى غرب أوروبا . وأخذ يتحين الفرص لتحقيق حلمه هذا . وقد واتته الفرصة عندما دعاه الأمراء العرب المرابطين شمال نهر الابرو لمساعدتهم فى حروبهم الداخلية ضد خليفة قرطبة . وكان من أثر ذلك أن قام بحملتين متتاليتين تجاه الاندلس فى عامى ٧٧٨،٧٧٧ . والحملة الثانية هى التى خلدها الشعراء فى الانشودة المعروفة باسم أنشودة رولان التى تعتبر من أهم الأناشيد فى الأدب الشعبى فى العصور الوسطى الأوروبية ، وإن لم يكن لها من الأهمية التاريخية والنتائج الحاسمة ما يبدو من شهرتها الفائقة فى التاريخ (١) .

---

(١) ديفز : أوربا فى العصور الوسطى ص ٥٦ – ويعتقد نفس المؤرخ فى كتابه : شارلمان ص ٢٨٥ – ٢٨٧ ، أن الذى ألف أنشودة رولان شاعر فورماندى مجهول الاسم عاش فى انجلترا عقب الفتح النورمانى لها . وهى تشتمل على أربعة آلاف بيت مغنة بأسلوب يصلح للالقاء لا للغناء . وفيها يتحدث الشاعر عن أعمال شارل الحربية فى أسبانيا وحصاره لمدن ودكه القلاع والحصون فى أسلوب لا يخلو من المبالغة والتهويل . ويقول إن رولان الذى تدور حوله هذه القصيدة هو شخصية واقعية ، وقد اشترك بنفسه فى الحروب المذكورة وخبر صريبا أثناء انسحاب الفرنجة من أسبانيا . ونظرا لما كانت القصيدة تحويه من آراء وأفكار تدعو الى الجهاد والقتال ، فقد استغلت زمن الحروب الصليبية لتحقيق أغراضها وأهدافها .

كل هذا كان له أثره فى ذيوع صيت شارلمان فى الغرب والشرق حتى وصل الخلافة العباسية فى بغداد . وتبودلت السفارات والهدايا بين العاهلين العربى والمسيحى . ويقال إن شارلمان نجح فى الحصول على تفويض من هارون الرشيد بحماية مسيحيى فلسطين ، وتقديم التسهيلات اللازمة للحجاج اللاتين الى الاراضى المقدسة ، وإن الخليفة منحه فوق ذلك ملكية القبر المقدس الذى شيده الامبراطور قسطنطين فى القدس فى أوائل القرن الرابع الميلادى . ويزعم بعض المؤرخين أن بطريق بيت المقدس أرسل الى شارلمان مفاتيح قبر السيد المسيح اعترافا ضمنيا منه بزعامته الروحية على العالم المسيحى (١) .

هذه هى الظروف التى استغلها الغرب فى الدعاية للحركة الصليبية فى أخريات القرن الحادى عشر ، أى بعد وفاة الامبراطور شارلمان بحوالى ثلاثمائة عام . وعلى هذا الأساس ظهرت أغنية رولان وأسطورة حج شارلمان فى الأدب الشعبى فى ذلك الوقت بالذات بقصد ايقاظ النعرة الدينية فى نفوس مسيحيى الغرب ودفعهم فى حماس جنونى لنجدة اخوانهم فى الشرق ، فى وقت جندت فيه الاقلام والعقول والافكار لخدمة هذا الغرض فحسب .

وقد تناول هذه الفكرة بالدراسة أكثر من مؤرخ نذكر منهم كارلس ديفر وجاستون باريس ، وهما من كبار العلماء المتخصصين فى التاريخ الوسيط . ويقول أولهما ان هذه الأسطورة كانت معروفة من قبل ، ولكنها دخلت فى فترة الحروب الصليبية فى مرحلة جديدة . اذ ساد الاعتقاد وقتذاك أن شارلمان نهض من الموت ليقود أول حملة صليبية متجهة الى الشرق . وقد استغل الشعراء اللاتين هذه الناحية ، وهم يعرفون جيدا أثرها فى النفوس . ولعلهم وجدوا تشجيعا وترحيبا من البابوية والهيئات الدينية الأخرى فى الغرب ، فخرجوا لنا بأسطورة جديدة لعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، اذ صوروا شارلمان فى هيئة محارب صليبى فى حروب مستمرة ظافرة ضد العرب . ولم يكتفوا بذلك ، بل نسجوا من خيالهم قصة مؤداها

(١) ديفر : شارلمان ص ٢٠٢ — ٢٠٣ و٣٠٣ — ٣٠٤ .

أن الامبراطور المذكور حج الى أورشليم وزار القسطنطينية عاصمة بيزنطة والتقى بكبار المسئولين فيها ، وذلك بقصد تعبئة الشعور بين أهل الغرب ضد العرب فى الشرق . وكان من أثر ذلك أن شوهوا الأنشودة الأصلية القديمة بما أدخلوه عليها فى أخريات القرن الحادى عشر من آراء وأفكار تحقيقا لغايات معينة (١) .

ويتفق المؤرخ جاستون باريس مع زميله ديفز فى أن أغنية رولان وقصيدة حج شارلمان هما من وحى الخيال ، وأنهما لا يستندان الى الحقائق التاريخية . ويزيد الأمر وضوحا فيقول ان الأغانى التى وضعت فى فترة متأخرة أقتبست نماذج لشخصيات مثل رولان من الأناشيد والملاحم الأصلية القديمة التى وردت فيها تلك النماذج للمرة الأولى . وان الأغانى والقصائد التى استلهمها مؤلفوها من أحداث الحروب الصليبية لا شأن لها بتلك الملاحم الغنائية القديمة مثل أغنية رولان ، وان كانت قد اخذت عنها اطارها العام فحسب . وبناء على ذلك فالقصائد التى وضعت أيام الحركة الصليبية أما تقليد للقصائد الأصلية أو ابتداع من مخيلة الشعراء . ويخلص الكاتب من هذا أن أنشودة رولان تم احياؤها فى القرن الحادى عشر لتحريك الشعور فى غرب أوروبا ضد العرب فى الشرق . أما قصيدة حج شارلمان فهى قصيدة باريسية الأصل ترجع الى سنة ١٠٦٠ تقريباً . وتكاد تكون الانتاج الأدبى الوحيد الذى وصل الينا من هذا التاريخ المبكر فى شكله الأصلى دون أن تمتد اليه يد التحوير أو التغيير . ومع ذلك فهى مختلقة من خيال الشاعر الذى نسب الى شارلمان ورجاله أعمالا لم يقوموا أصلا بها . فهى لا تمت الى الحقيقة بصلة ، شأنها شأن أغنية رولان (٢) .

والخلاصة أن حج شارلمان للاراضى المقدسة أسطورة غير موثوق بصحتها ، ابتدعتها أقلام الكتاب اللاتين عند بداية الحركة . وليس فى المصادر المعاصرة لشارلمان ما يؤكد قيامه بهذا الحج . وهذا ما يمكن أن يقال أيضاً عن أغنية

---

(١) ديفز : شارلمان ص ٢٨٧–٢٨٨ .

(٢) Paris, Mediaeval French Literature, 32, 38-42.

رولان التى كانت عبارة عن صورة منسوخة مشوهة للقصيدة الأصلية . وليس من العسير ادراك أنه لم يكن لحج شارلمان أو الانشودة أى أثر مباشر فى قيام الحروب الصليبية أو حتى فى التمهيد لها ، اللهم الا دورهما فى اثارة الرغبة الكامنة لدى اللاتين للعمل على توسيع دائرة نشاطهم بحيث تشمل الشرق العربى الى جانب شبه الجزيرة الايبيرية . وقد تفنن الغرب فى ابتداع مثل هذه الأساطير التى لاقت نجاحا كبيراً فى ذلك الحين .

(ثانياً) دور بيزنطه والكسيس كومنين فى الدعوة الى الحروب الصليبية :

وهناك فئة من المؤرخين المحدثين ترجع الى الامبراطور الكسيس كومنين أمر قيام هذه الحروب . ويستدلون على ذلك من خطاب(١) يقال إن الامبراطور البيزنطى أرسله حوالى سنة ١٠٨٨ الى الكونت روبرت الاول امير الأراضى الواطئة (٢) ، يطلب منه فيه المبادرة بارسال نجدات الى الشرق للدفاع عن القسطنطينية ضد السلاجقة ووقف تيارهم الجارف ، ثم التوجه بعد ذلك للاستيلاء على الأراضى المقدسة .

إن طلب الكسيس المساعدة من أهل الغرب والدعوة الى الحروب الصليبية أمر لا يزال مثار كثير من الخلاف بين المؤرخين . ولكن مما لا شك فيه أنه قد طلب العون من البابا اربان الثانى فى مؤتمرى بياتنزا Piacenza وكليرمون

---

(١) أورد جيبرت ده نوجان مقتطفات من الخطاب المذكور باللاتينية فى الجزء الرابع من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) ص ١٣١–١٣٢ . ولا نعلم إن كان هذا هو الخطاب الأصل أم ترجمته ، اذ لم يصلنا النص الأغريقى له . كذلك نشره فى سنة ١٩٠١ العالم الألمانى هنجينفاير ضمن مجموعة وثائق باللاتينيه تحت اسم « خطابات ومراسيم متعلقة بالحرب الصليبية الأول » ص ١٢٩ – ١٣٦ » . وقد نقل الخطاب المذكور الى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية .

(٢) هو الكونت روبرت الأول ده فلاندرز ، وهى الأراضى الواطئة أو بلاد الفلمنك إحدى مقاطعات فرنسا . وقد حكم من سنة ١٠٧١ الى ١٠٩٣ ، وكان من كبار رجال الاقطاع فى الغرب ، وتمتعت بلاده بمكانة مرموقة فى الناحيتين السياسية والاقتصادية وقتذاك . يُنظر :

Grousset, Crois., I, p. In. 1.

Clermont ، ومن بعض كبار رجال الاقطاع فى الغرب مثل روبرت أمير الأراضى الواطئة . ومع ذلك لا يمكن أن نبت برأى حاسم فيما يتعلق بنوع هذه المساعدة وماهيتها ؛ وعما اذا كان هدفها مساعدة الجيش البيزنطى ضد الخطر السلجوقى فحسب ، أم الدعوة الصريحة الى حرب صليبية بقصد غزو الأراضى المقدسة .

لقد أثار الخطاب المنوه عنه الكثير من الجدل ، وكان الاعتقاد السائد حتى وقت قريب أن الحملة الصليبية انما تحركت صوب القسطنطينية بناء على طلب الامبراطور البيزنطى . واعتقد كثير من العلماء القدامى فى صحة هذه الوثيقة التاريخية المنسوبة الى الكسيس كومنين (١) . وفيها يصف فى أسلوب لا يخلو من المبالغة مافعله الاتراك السلاجقة فى الدولة البيزنطية من مذابح وتقتيل ومن أعمال السلب والنهب ، وكيف أنهم باتوا يهددون العاصمة نفسها بشر مستطير . ويحاول بضرب على أحد الأوتار الحساسة باثارته الحماسة الدينية بين أهل الغرب ، عندما ذكرهم بما يوجد فى القسطنطينية من مخلفات وذخائر مقدسة . ولم ينس ان يقدم لهم ، فضلا عما تقدم ، المغريات المادية ، عندما لوح لهم بما يوجد فى العاصمة من كنوز ونفائس وأموال وذهب وأحجار كريمة ، وهو يعلم سلفا بجشع اللاتين وحبهم الشديد للمال . وأكد لهم أنهم اذا هبوا لنجدته ستكون هذه الكنوز والتحف من نصيبهم ، أما اذا تباطئوا فستقع غنيمة باردة فى قبضة الأتراك . ويطنب منهم فى ختام خطابه المبادرة بارسال الامدادات لانقاذ عاصمته المهددة ، ثم التوجه بعد ذلك للاستيلاء على البيت المقدس وتخليص قبر المسيح .

هذا هو الخطاب الذى احتدم الخلاف حوله ما بين مؤيد ومعارض . وهناك رأيان على طرفى نقيض فى هذا الموضوع . أولهما رأى المدرسة الألمانية التى تنادى بصحة هذا الخطاب . وأنه إذا لم يكن الخطاب الذى وصلنا هو النص الأصلى فهو على الأقل صورة أخرى منه تحوى نفس المعنى وإن كان باسلوب مغاير . ويدافع عن هذا الرأى المؤرخان المعروفان هاجيمايير

(١) Molinier, II. 275.

Hagenmeyer وروهرشت Röhricht (١) . أما الرأى الثانى فهو رأى المدرسة الفرنسية المعارضة ، وهى تنفى نفياً قاطعاً أن الكسيس أرسل أى خطاب الى أمير الأراضى الواطئة ، وعلى رأس هذه المدرسة العالمان شالندون Chalandon وشارل ديل Ch. Diehl. ويرى هذا الرأى أيضاً كثير من المؤرخين المحدثين أمثال الكونت بول ريان Paul Riant وفازيلييف Vasiliev واستروجرسكى Ostrogorsky وستيفن رانسيمان .

ويعزز الفريق المعارض رأيه بقوله ان الأسلوب والكيفية التى دون بها الخطاب لا تتفق بحال مع العادات والتقاليد التى كانت متبعة فى ديوان الانشاء فى الدولة البيزنطية فى ذلك الحين . ويضيف الى ذلك أن هذا الخطاب لم يكتب عام ١٠٨٨ ، وانما وضع فى غرب أوروبا فيما بين عامى ١٠٩٨ و١٠٩٩ ، أى بعد تاريخ الخطاب بحوالى عشر سنوات — وذلك بقصد اثارة شعور أهل الغرب وحثهم همهم للاشتراك فى الحرب الصليبية والاسراع بارسال النجدات الى الافرنج بالشرق . وترجح المدرسة المذكورة أن الخطاب وضع أثناء حصار مدينة انطاكية فى الحملة الأولى . وأنصار هذا الرأى يدللون على ذلك بقولهم ان البيزنطيين فوجئوا بوصول هذه الجيوش اللاتينية التى كانت تفوق فى عددها « نجوم السماء ورمال البحار » (٢) وفقا لرواية الأميرة آن كومنين ابنة الامبراطور الكسيس .

ويقول المؤرخ الفرنسى شالندون ان الكسيس لم يكن صاحب الفكرة فى قيام هذه الحروب ، وان البيزنطيين لم يستدعوا الغربيين للقيام بحرب مقدسة فى الشرق العربى ، وان الامبراطور البيزنطى حينما طلب من الكونت روبرت ارسال امدادات ، فذلك لأن الخطر التركى كان يهدد الدولة البيزنطية وقتئذ . يضاف الى ما تقدم أن بيزنطة كانت تستخدم الغربيين فى جيوشها كمرتزقة قبل عهد الكسيس كومنين . وكانت ترسل من وقت لآخر الى كبار رجال

(١) راجع عن المناقشة فى هذا الموضوع : Grousset, Crois., I,p. 2 & n 2

(٢) Anna Comnena; Alexiad, 249 & 263. Cf. Diehl, L'Europe Orientale, 16.

الغرب والى البابوية نفسها فى طلب العون والمساعدات وارسال الفرسان لدفع الترك عن حدودها . ولذلك فان طلب الامبراطور المساعدة من الغرب لا يعنى اطلاقا الدعوة الى القيام بحرب صليبية أو الذهاب للاستيلاء على البيت المقدس . ويذهب شالندون الى أبعد من ذلك . فيقول ان ما ذكره المؤرخ برنولد Bernold من أن الكسيس أرسل وفدا الى مجمع بياتشنزا (٧ مارس ١٠٩٥) لحث الغرب على اغاثة الامبراطورية البيزنطية ، ليس له أى أساس من الصحة ، ذلك لأن الامبراطورية كانت وقتئذ فى حالة تمكنها من صد أى اعتداء خارجى عليها (١) . ثم أن المؤرخين اللاتين المعاصرين لتلك الفترة امثال المؤرخ المجهول ، وريمون داجيل Raimond d' Agiles وفوشيه ده شارتر Foucher de Chartres ، لم يشيروا فى كتبهم وتآليفهم إلى طلب الكسيس المساعدة من أهل الغرب للقيام بحرب مقدسة فى رقعة الشرق العربى كتلك التى شنها اللاتين ضد العرب فى الغرب الأوروبى . واننا لا نجد هذه الأسطورة الا فى كتب المؤرخين اللاتين المتأخرين نسبيا أمثال روبرت الراهب (٢) وجيبرت ده نوجان (٣) .

ويعلل شالندون قيام هذه الأسطورة بقوله إن أهل الغرب عندما عليوا بالصعاب العديدة التى تحملها رجال الحملة الأولى ، وعندما رأوا قلة من عاد منها اذا قورن بالاعداد الضخمة التى غادرت أوطانها ، لم يكن باستطاعتهم أن يتصوروا أن السبب فى ذلك انما يعزى الى عدم كفاءة رؤساء الجيوش الفرنجية والى خلافاتهم ومنازعاتهم المستمرة ، وعدم وجود قيادة موحدة وخطة مرسومة ثابتة . فألقوا المسئولية جزافا على كاهل الامبراطور البيزنطى . وكانت متاعبه ومشاكله مع زعمائهم ، وما أظهره حيالهم من الحزم والعزم كى يحافظ على دولته ، سببا فى اختراع هذه الأسطورة المعادية له ، والتى انتشرت بصفة خاصة بين الطبقات الشعبية فى المجتمع الغربى الوسيط فى القرن الحادى عشر (٤) .

---

(١) Chalandon, Alexis Comnène, 156-157.

(٢) Robert le Moine, R.H.C. — H. Occ., III, 727.

(٣) Guibert de Nogent, R.H.C. — H. Occ., IV, 131 - 132.

(٤) Chalandon, Alexis Comnène, 157.

ويتفق الكونت بول ريان مع شالندون وديل فى أن الخطاب مختلق من أساسه ، ولا يوجد أى أصل يونانى له ، وأنه وضع فى الغرب تحقيقا للاغراض المنوه عنها . ويذكر ريان أن مقتطفات من الخطاب المذكور وردت فى كتابى جيبرت ده نوجان وروبرت الراهب ، ويعتقد أن واضع الخطاب هو روبرت الراهب (١) .

أما الأستاذ فازيلييف فيضع النقط فوق الحروف ، قائلا ان الحركة الصليبية كانت مشروعا غربيا بحتا ، وان وضع بيزنطة من هذه الحركة كان معقداً غاية التعقيد . فلم يكن لديها أى فكرة عن الحرب الصليبية بمعناها المعروف فى الغرب فى القرن الحادى عشر . ثم أن امتلاك فلسطين لم يعد أمراً حيويا بالنسبة لها وقتذاك . هذا فضلا عن أنه لم يكن يوجد عداء دينى بين البيزنطيين والعرب ، ولم يوجد مبشرون فى بيزنطة للدعوة للحملة الصليبية ، على عكس الحال فى الغرب الأوروبى . ويزيد فازيلييف الأمر وضوحا فيذكر أن بيزنطة قد تورطت دون رغبة منها فى الحملة الصليبية الأولى . وكانت رغبتها الوحيدة هى الحصول على بعض المساعدات ضد تهديد السلاجقة لها ، ولم يكن لهذه الرغبة أى صلة بالحملة الغربية على فلسطين (٢) .

ويقف العالم استروجرسكى الى جانب زملائه شالندون وريان وفازيلييف . فيؤكد أن الحركة الصليبية كما فهمها الغرب كانت أمرا غريبا بالنسبة للامبراطورية البيزنطية . فلم يجد جديد فى العلاقات بين البيزنطيين وجيرانهم العرب يستدعى القيام بمثل هذه الحركة . ثم أن مسألة الاستيلاء على الاراضى المقدسة — من وجهة النظر البيزنطية — هى مسألة سياسية من اختصاص الدولة ، وليست فرضا واجبا على المسيحية عامة . وأخيرا فان الشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية الذى بلغ ذروته فى أواسط القرن الحادى عشر يكاد يجعل من المستحيل وجود أساس طيب للتعاون المشترك بين الطرفين .

---

(١) Riant, A. O. L., I, 74 sqq. Cf. Molinier, II, 275.

(٢) أنظر مقاله فازيلييف فى : Baynes and Moss, Byzantium, 322.

ويختتم استروجرسكى تعليقه بقوله ان بيزنطه لم تطلب من الغرب محاربين صليبيين وانما جندا مرتزقة (١) .

ومما يعزز هذا الرأى أن الكسيس اعترته الدهشة عندما علم بنزول هذه القوات الجرارة فى غير نظام على أراضى امبراطوريته . وتؤكد آن كومنين فى كتابها عن تاريخ حياة أبيها أنه لم يكن يعرف شيئا عن هذه الحركة ، وأنه علم بقدوم الفرنج عن طريق الاشاعات والأقاويل . ولذلك فوجىء بوصول هذه القوات التى لم تكف منذ أن حلت بالامبراطورية عن أعمال السلب والتدمير . وتذكر الكاتبة الأغريقية أن الصليبيين الغربيين اتخذوا من مسألة الاستيلاء على أورشليم ستارا يخفون وراءه مطامعهم التى اجمعوا عليها ، الا وهى خلع الامبراطور والاستيلاء على عاصمة ملكه بعد أن أغراهم ثراؤها الفاحش وهم قوم جشعون محبون للمال ، حتى أن الامبراطور نفسه كان يعتقد أن وجهة أولئك القوم ليست الأراضى المقدسة وانما القسطنطينية (٢) .

وهذا يفسر لنا السر فى موقف الكسيس والدولة البيزنطية حيال الصليبيين اللاتين ، الذى يتلخص فى العمل بكافة الطرق والوسائل على المحافظة على الامبراطورية من عدوانهم مهما كلفهم هذا من ثمن . ثم يجب ألا ننسى أن العلاقات بين اللاتين والاغريق قبل قيام الحركة الصليبية لم تكن طيبة أو مرضية . فلم يكن هذا مما يشجعها على استدعاء الغربيين للقيام بحرب صليبية ضد الشرق العربى .

---

(١) Ostrogorsky, Byzantine State, 320 & 321 n. 3

(٢) Anna Comnena, Alexiad, 250 — وتؤكد الكاتبة الأغريقية هذه الفكرة فى أكثر من موضع من كتابها . فتذكر أن بعض اللاتين من زعماء الحملة الأولى أمثال بوهيمند النورمانى كانوا يطمعون فى الدولة البيزنطية ويريدون الاستيلاء عليها وتأسيس إمارة لاتينية بها . وقد وجدوا فى تبشير بعض الدعاة بالحملة أمثال بطرس الناسك ذريعة لتحقيق أهدافهم ؛ فخدعوا الناس وبسطاء العقول وتسببوا فى قيام هذا الطوفان البشرى ، وباعوا ممتلكاتهم بحجة توجههم لتخليص القبر المقدس — انظر ص ٢٥٢ من نفس المرجع .

وهكذا نجد أن طلب الكسيس امداده بالجند لم يكن شيئا جديداً أو أمراً غير مألوف . ولم يكن هو أول من استن هذه السياسة من الأباطره ، كما أنه لم يكن آخرهم . اذ سبقه اليها أسلافه مثل ميخائيل السابع ، وحذا حذوه من جاء بعده . (١) فاذا نظرنا الى الخطاب من هذه الزاوية نجد أنه صحيح لاغبارعليه ، واذا طلب الكسيس النجدات من الغرب الكاثوليكى للدفاع عن القسطنطينية وحماية حدود امبراطوريته ، فهذا صحيح أيضا . أما طلب الذهاب الى الأراضى المقدسة واخراج السلاجقة منها ، فهو أمر مستبعد ويحتاج الى مزيد من البحث والدراسة ، وان كان هذا لا يمنع من القول ان الكسيس بتصرفه هذا — لو صح أن الخطاب المذكور قد صدر عنه — قد نبه الغرب الأوروبى الى خطر العنصر التركمانى . ولهذا أهمية خاصة عند اللاتين الذين كانوا يعتبرون القسطنطينية حتى وقت غير بعيد من قيام الحرب الصليبية حامية الغرب الأوروبى ضد الخطر السلجوقى . ولكن هجمات السلاجقة فى آسيا الصغرى واقتطاعهم من ولايات بيزنطة الشرقية أفقدها هذا اللقب الذى كانت تتمتع به .

واذا أخذنا بوجهة النظر القائلة بصحة الخطاب ، أو أى خطاب آخر بنفس المعنى أرسله الكسيس الى روبرت ، فذلك يرجع الى أن الكونت المذكور كان قد ذهب للحج الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٠٨٧ ، وعند عودته التقى بالامبراطور البيزنطى ووعده بارسال خمسمائة فارس لمساعدته ضد الأتراك . ويحتمل أن الكسيس عندما لم تصله النجدة ، بعث اليه فى العام التالى يستحثه على ارسال القوات التى وعده بها (٢) .

والأمر الذى يتفق عليه الجميع هو أن التفاصيل والحقائق التاريخية الواردة بالخطاب صحيحة فى مجموعها ، وينحصر الخلاف بين المؤرخين فى أمرين حسبما أسلفنا : أولهما الخطاب نفسه وعما اذا كان قد صدر فعلا عن الكسيس أم لا ، وثانيهما مسألة صحة دعوة الكسيس لأهل الغرب للقيام بهذه الحروب الصليبية .

---

(١) Cf. Ostrogorsky, 305.

(٢) Grousset, Crois., I, p. 1; Molinier, II, 275.

نخلص مما سبق ذكره أن هناك احتمالان لا ثالث لها . إما أن الخطاب صحيح أو غير صحيح . فاذا كان قد صدر فعلا عن الكسيس فهذا لا يعني أكثر من طلب العون من الغرب لدفع خطر السلاجقة عن الدولة البيزنطية وعاصمتها كما فعل اسلافه من قبله وخلفاؤه من بعده ، ولا يمكن تفسيره اطلاقا بالدعوة الصريحة لاثارة حرب صليبية . فهذه الفكرة غربية بحته ، نبتت وترعرعت في الغرب وتولتها البابوية برعايتها وعنايتها طيلة مراحلها . واذا لم يكن قد صدر عن الامبراطور البيزنطي ونسب اليه عمدا أو بدون قصد ، فيحتمل في هذه الحالة أن يكون قد وضع في الغرب اللاتيني وقتذاك انتقاما من الكسيس لموقفه من زعماء الحملة الصليبية الأولى من ناحية ، ولحث اللاتين للمبادرة بنجدة إخوانهم في الشرق من ناحية أخرى . وفي كلتا الحالتين يجب الا ننسى أن جميع المعلومات والحقائق التاريخية الواردة بالخطاب صحيحة في جملتها ومضمونها .

(ثالثاً) بطرس الناسك وقيام الحرب الصليبية :

ويرى بعض المؤرخين أن بطرس الناسك هو المسئول الأول عن هذه الحروب . وحجتهم في ذلك أنه ذهب للحج الى بيت المقدس قبيل قيام الحركة ببضع سنوات ، حيث التقى ببطريق هذه المدينة الذي حدثه عما يقاسيه الحجاج الى الأراضي المقدسة على أيدي السلاجقة . وسلمه البطريق رسالة للبابا يطلب فيها النجدة والمساعدة . ويضيف البعض أن بطرس هذا رأى فيما يرى النائم السيد المسيح الذي طلب منه مقابلة البابا والدعوة للحرب الصليبية ، وأن بطرس قام بتنفيذ هذه الرؤيا (١) .

وهكذا صنعت الأسطورة من بطرس الناسك ناصحا لاربان وداعية للحرب الصليبية . والثابت أن هذه الرواية تفتقر هي الأخرى الى ما يعززها ويسندها ، خاصة وأن جميع المؤرخين الذين عاصروا الحرب الصليبية

(١) Guillaume de Tyr, R. H.C. — H. Occ., I, le p., 34—35; Historia Belli Secri, R.H.C. — H. Occ., III, 169. Cf. also Runciman, Crusades, I, 113; Grousset, Croisades, I, 5.

حيث التمس منه ارسال وفادة الى البابا اربان الثانى للدعوة للحملة المزعومة(١) ، حتى لقد جعل منه بعض المؤرخين الغربيين الحديثين محرك الحروب الصليبية وبطلها (٢) .

ويجب أن نتقبل مثل هذه الروايات ذات الطابع الأسطورى بكثير من الحيطة . اذ كان من الطبيعى بعد النجاح الكبير الذى احرزته الحملة الصليبية الأولى ان تظهر بعض الروايات المبالغ فيها التى تنسب امر نجاحها الى هذا النبيل أو ذاك ممن اشتركوا فيها اشتراكا فعليا ، وممن ذاع صيتهم وبرزت شهرتهم .

(خامساً) البابا أربان الثانى والحركة الصليبية :

يتضح اذن أن النظريات السابقة فيها مجافاة للحقيقة وبعد عن الواقع ، وانها لا تعدو أن تكون من نسج الخيال . فلا يمكن ارجاع الدور الأول فى قيام الحركة الصليبية الى قصيدة حج شرلمان أو أغنية رولان ، أو الى خطاب الكسيس كومنين ، أو تنبؤات ورؤيات بطرس الناسك ، أو غير هذه وتلك من الأساطير التى يجب حذفها نهائيا من سجل التاريخ .

والأمر الثابت الذى لا خلاف فيه أن البابا اربان الثانى — يؤيده فى ذلك الجهاز الكنسى فى الغرب — هو الذى قام بالدعوة الصريحة المباشرة الى الحروب الصليبية وامتلاك الأراضى المقدسة (٣) مستغلا فى ذلك سلطاته الدينية والزمنية التى كان يتمتع بها . وينسب اليه جميع المؤرخين اللاتين المعاصرين له الدور الرئيسى فى تحقيق هذه الفكرة ، ومن هؤلاء فوشيه ده شارتر (٤) ، وتيدبوده (٥) Tudebode ، وراؤول ده كان (٦) Raoul de Caen .

---

(١) Cf. Guillaume de Tyr, R.H.C. — H. Occ., I, le. p. 71 sqq.

(٢) Cf. Diehl, L'Europe Orientale, 19.

(٣) Grousset, Crois., I, 2; Molinier, op. cit., II, 274-5.

(٤) Cf. Foucher de Chartres, R.H.C. — H. Occ., III, 321.

(٥) Cf. Tudebode, R.H.C. — H. Occ., III, 121.

(٦) Cf. Raoul de Caen, R.H.C. — H. Occ., III, 606.

لقد اعتلى اربان الكرسي البابوى سنة ١٠٨٨ ، ولكن المشاكل الداخلية التي واجهته فى السنوات الأولى من حكمه حالت بينه وبين تحقيق أمنية كانت تجيش فى صدره وطالما تاق اليها . ولكن بعد أن فرغ من مشاكله مع خصمه اللدود الامبراطور الالمانى هنرى الرابع وتخلص من مناوئته له ، وبعد دخوله روما منتصراً فى أوائل عام ١٠٩٥ ، والتى كان قد تركها مضطراً سلفه جريجورى السابع ، عقد فى مدينة بياتشنزا فى مارس من نفس العام مجلسا دينيا لمناقشة الشئون الداخلية . والشيء الجديد فى هذا المجلس الذى كانت له آثاره فى قيام الحركة الصليبية ، هو أن الكسيس كومنين امبراطور بيزنطة أوفد رسلا من قبله الى اربان فى طلب المساعدة العسكرية من دول الغرب للاستعانة بها فى دفع خطر السلاجقة الذين استولوا على جانب كبير من امبراطوريته وباتوا يهددون القسطنطينية نفسها . وقد حضر أولئك الرسل المجمع المذكور ، واذن لهم البابا بعرض طلباتهم على المجتمعين ، فأخذوا يصورون الخطر الذى تعرضت له الدولة الرومانية الشرقية التى كانت تعتبر حتى وقت قريب حامية الغرب اللاتينى وحصنه المنيع . وافلحوا فى تحريك شعور أهل الغرب واثارة حماسهم لنجدة إخوانهم فى الشرق . وكان من الطبيعى أن تصادف طلبات الكسيس ترحيباً من البابوية التى وجدت فيها فرصة ذهبية لتحقيق سياستها الخاصة فى هذا السبيل (١) .

لقد حركت طلبات الكسيس كوامن النفس لدى اربان حتى أنه ارسل الى بعض كبار رجال الاقطاع فى الغرب يطلب اليهم ارسال المساعدات الى الامبراطور البيزنطى ، مقتفيا فى ذلك خطى سلفه البابا جريجورى السابع . ويستنتج البعض من ذلك أن مجمع بياتشنزا قد مهد بطريقة ما لمؤتمر كليرمون الذى أعلن فيه اربان مولد الحركة الصليبية ، وأن فكرة ايفاد نجدات إلى الكسيس كانت المحاولة الأولى التى مهدت بها البابوية لتلك الحركة . ويجب أن نتقبل هذا الرأى بشيء من الحذر ، اذ ليست لدينا نصوص تاريخية تدعم

---

(١) Baldwin, Med. Church, 100; Runciman, Crusades, I, 104-5.

وعلى أية حال ، عقب انتهاء مجمع بياتشنزا فى أكتوبر مارس ١٠٩٥ بدأ البابا اربان جولته الدينية التفتيشية فى غرب أوروبا التى انتهت بالتبشير بالحملة الصليبية الأولى .

لقد أمضى البابا بضعة أشهر فى ايطاليا عقب انفضاض المجلس ، ومنها توجه الى فرنسا ، مخترقا جبال الألب . ثم قصد بعد ذلك الى مدينة بوى وكان استقبلها وقتذاك هو ادهيمار دو مونتى Adhemar de Monteil الذى سيصبح مندوبا للبابا فى الحملة الصليبية الأولى ورئيساً روحياً لها . وتذكر بعض المراجع أن هذا الأسقف سبق أن ذهب الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٠٨٧ ، وأنه حدث البابا بعد عودته عن الخطر السلجوقى . ويحتمل كذلك أن يكون اربان قد فاتحه أثناء زيارته الأخيرة له فى أمر تعيينه مندوبا عنه فى الحملة المزمع قيامها ، وكانت العلاقة بينهما على أحسن ما يكون . وان كانت هذه وغيرها مجرد فروض واحتمالات تعززها الأحداث المتلاحقة التى وقعت بعد ذلك .

ومن مدينة بوى وجه اربان فى ١٥ أغسطس عام ١٠٩٥ الدعوة الى حضور مؤتمر كليرمون فى ١٨ نوفمبر من نفس العام . وجدير بالذكر أن هذه الدعوة لم تتضمن أية اشارة الى مسألة الحرب الصليبية من قريب أو بعيد . ولعل البابا كان يهدف من وراء ذلك جعل مشروعه طى الكتمان ضمانا لنجاحه .

واصل البابا بعد ذلك رحلته الدينية فتوجه الى مدينة سان جيل وكان صاحبها يدعى ريمون ، وهو من كبار رجال الاقطاع فى الغرب المؤيدين للبابوية . وقد لعب دوراً كبيراً فى تاريخ الحروب المسيحية ضد العرب فى أسبانيا وفى الحملة الصليبية الأولى نفسها . ويبدو أن البابا قد تحدث اليه فى أمر مشروعه الصليبى وعزمه على تنفيذه كما تحدث الى ادهيمار من قبل . ونستدل على ذلك من أن ريمون تطوع للذهاب الى الشرق بعد انتهاء مؤتمر كليرمون بأيام قلائل ، مما لا يدع مجالا للشك فى أنه كان على علم سابق

بهذه الخطوة . أى قبل انعقاد المؤتمر بمدة كافية . اذ لا يعقل أن يعلم الكونت بالقرار الذى اتخذ فى مؤتمر كليرمون الذى لم يتسن له الاشتراك فيه ، وأن يحضر بعد ذلك ببضعة أيام ليسجل اسمه فى سجل الحرب المقدسة ، فى وقت كانت فيه وسائل النقل والمواصلات صعبة بطيئة غير ميسرة .

ثم واصل البابا رحلته التفتيشية فزار بعدة بلاد جنوبى فرنسا . واخيرا توجه الى كلونى ، ذلك الدير الذى شب فيه واشرأبت نفسه بمبادئه وتعاليمه . وأقام هناك بعض الوقت مما ساعده على التأمل والتفكير الجدى فيما استقر عليه عزمه . ومن المحتمل أن يكون قد استعان بخبرة رجال كلونى فى التعرف على أحوال الشرق العربى ، اذ كانوا على علم بمجريات الأمور فى هذا المنطقة من العالم (١) .

مما سبق يتضح أن فكرة الدعوة للحرب الصليبية لم تظهر فجأة فى كليرمون ، ولم يعلن عنها وسميا فى بياتشنزا ، وانما نضجت واختمرت فى ذهن اربان خلال هذه الجولة التى طاف فيها الغرب الأوروبى فى الفترة الواقعة بين شهرى ابريل ونوفمبر من عام ١٠٩٥ . ومن هنا جاء اهتمام المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة وتتبع احداثها ، ودراسة تحركات البابا وتنقلاته خلالها ، وتسجيل ذلك كله فى كتبهم وتآليفهم . وخلصوا من ذلك أنه كان بعد العدة فعلا للنداء بهذه الحروب .

وأخيراً فى ١٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ عقد مؤتمر كليرمون الذى اشترك فيه عدد كبير من رجال الدين معظمهم من فرنسا . وبالرغم من اعتقاد المؤرخين أن الدعوة للحرب الصليبية كانت الموضوع الأساسى فى جدول أعمال المؤتمر ، فقد عالج المجتمعون فى الفترة الواقعة من ١٨ الى ٢٦ نوفمبر بعض الأمور الدينية التى لا تمت بصلة لتلك الحركة . وأخيراً فى ٢٧ من نفس الشهر خرج البابا من الكنيسة التى عقد فيها المؤتمر جلساته ، وخطب فى

(١) فيما يتعلق بتحركات البابا وتنقلاته ينظر : Chalandon, Histoire de la première Croisade, 19-22; Runciman, Crusades, I, 106-107; Baldwin, Med. Church, 100-101.

الجمهور الذى احتشد خارجها لسماعه تلك الخطبة التى كانت ايذانا بقيام الحركة الصليبية (١).

لقد تركت الخطبة الملتهبة أثراً بالغا فى نفوس المستمعين الذين قابلوها بجملة صغيرة فى عدد كلماتها خطيرة فى مدلولها ، فكانت ابلغ تعبير عن سر هذه الحركة وحقيقة دوافعها ومراميها التوسعية الاستعمارية ، وهى « هذه هى ارادة الله » Deus vult التى ستصبح صيحة الحرب والقتال للصليبيين الغربيين خلال ثلاثة قرون من الزمان . ولم يكتف اربان بذلك بل قام ووزع بنفسه الصلبان على الحاضرين الذين قاموا بتعليقها على صدورهم أو وضعها فوق اكتافهم (٢).

ومهما يكن من شىء ، فقد تطورت افكار البابا اربان فى هذا المؤتمر تطوراً خطيرا . فبدلا من السعى لاعداد حملة لمساعدة الكسيس كومنين الذى التمس رسله فى بيانشنزا العون من أهل الغرب ، وبدلا من أن يقتفى خطى سلفه جريجورى فى هذا المضمار ، نراه يطالب فى جرأة وصراحة القيام بحملة كبيرة لغزو الأراضى المقدسة واستئصال شأفة العرب منها وتأسيس امارة لاتينية بها . وهكذا بدلا من أن تكون القسطنطينية هى وجهة الحملة ، أصبح بيت المقدس والشرق العربى هدفها ومرساها .

---

(١) اثبت أربعة من المؤرخين الغربيين المعاصرين تلك الفقرة نص هذه الخطبة أو مضمونها مع اختلافات طفيفة فى بعض الألفاظ أو الكلمات التى لاتخل بالمعنى العام ، وهم : فوشيه ده شارتر فى الجزء الثالث من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) ص ٣٢٣–٣٢٤ ، وروبرت اترابب (نفس المجموعة والجزء ص ٧٢٧ – ٧٣٠) ، وبودرى ده بورجى (الجزء الرابع من المجموعة ص ١٣٧ – ١٤٠) . ويزعم بودرى أنه حضر المؤتمر المذكور ، بينما كتب الثلاثة الآخرون عن المؤتمر كما لو كانوا شهود عيان له . أنظر الترجمة الانجليزية لنص فوشيه وترجمة مقتطفات من نص روبرت اترابب فى :

Downs, Basic Documents in Med. Hist., 73-6.

(٢) يقول مارشال بلدوين إن كلمة « محارب صليبى » "Crusader" جاءت من كلمة الصليب الذى لبسه كل من انخرط فى تلك الحركة . ينظر Baldwin, op. cit., 101 ومن هنا عرف المحاربون الذين اشتركوا فيها باسم المحاربين الصليبيين ، وسميت الحركة نفسها باسم الحركة الصليبية .

لقد تمكنت الفكرة من نفس اربان ، ووجد أنه من الضرورى اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذها . فعين فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ — أى غداة القاء خطبته المشهورة — ادهيمار اسقف بوى رئيساً روحياً للحملة وقائدا رسوليا لها . وبذلك أكد البابا الاتجاه الحقيقى لهذا المشروع الغربى التوسعى. فهو مشروع نفذته الكنيسة والبابوية بما لهما من سلطات مطلقة لا يستهان بها وقتذاك ، ثم باركاه واشرفا عليه اشرافا فعليا طيلة مراحله . واتخذ اربان على الفور عدة قرارات لتشجيع المتطوعين للاشتراك فى الحملة . وأوفد مندوباً من قبله الى جنوة للاتفاق على أن يقوم أسطولها بمساعدة الحملة فيما يتعلق بنقل الجند والعتاد والامدادات عبر البحر . وأخذ يتنقل من بلد الى آخر مبشراً بالحرب داعيا الى حمل الصليب (١) .

لقد لاقت الدعوة فى الغرب نجاحا منقطع النظير ، وأثارت حماس الأوروبيين بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ تلك القارة . اذ قامت فى عصر سادت فيه المسيحية على انقاض الوثنية القديمة ، وسيطرت الكنيسة اللاتينية على مصائر الخلق ومقدراتهم ، يتقبلون أوامرها ونواهيها بالسمع والطاعة . فاذا قالت ان المسيح يأمر اتباعه بالتوجه الى الشرق فى زحف مقدس لتخليص قبره ، فهذا معناه أن يهب الغرب من اقصاه الى اقصاه للاشتراك فى هذا الزحف . والويل لمن يخالف تعليمات الكنيسة ، حينئذ يتعرض لسيفها المسلط على الرقاب . وما أكثر أسلحتها التى كانت تستخدمها من حرمان ونقمة ولعنه وقطع . ولعل هذا يفسر سر الحماس الجنونى الذى قوبلت به تلك الدعوة فى بدايتها . فلم يقتصر على جيش معين أو مدينة بذاتها ، بل عم جميع انحاء أوروبا . ولم يقتصر كذلك على طائفة دون أخرى ، بل شمل الفرسان وكبار رجال الاقطاع الى جانب الاقنان وعبيد الأرض ، مما يؤكد وجود ظروف واحدة فى دول الغرب تجمع بينها وتؤلف بين قلوبها ، وان الافكار هناك كانت معدة فعلا لقبول هذه الحروب والاشتراك فيها .

(١) يذكر : الحروب الصليبية ص ٢٣ — ٢٤ ، وكذلك :

Runciman, Crusades, I, 109-113.

المراجع

أولا ـ المصادر الأصلية

1. **Albert d'Aix,** Historia Hierosolymitana. Ed. R.H.C. — H. Occ., IV, 265-713 (Paris, 1879).

2. **Anna Comnena,** The Alexiad. An English trans. by E.A.S. Dawes. London, 1928.

3. **Anonymous,** Historia Belli Sacri, R.H.C. — H. Occ., III. Paris, 1866 (pp. 165-169)

4. **Baudri de Bourgueil,** Historia Jerosolmitana. Ed. R.H.C. - H. Occ., IV, 1-111. (Paris, 1879).

5. **Downs, N. (Ed.),** Basic Documents in Medieval History. New York, 1959.

6. **Foucher de Chartres,** Gesta Francorum Jherusalem Peregrinantium (1095-1127). Ed. R.H.C. H. Occ., III, 311 — 485, (Paris, 1866).

7. **Guibert de Nogent,** Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos. Ed. R.H.C. H. Occ., IV, 113-263.

8. **Guillaume de Tyr,** Historia rerum in partibus transmarinis gestarum. Ed. R.H.C. H. Occ., t. Ic. p. (1– 702). Paris, 1844.

9. **Hagenmeyer, H. (Ed.),** Die kreuzzugsbriefe : Epistolae et chartae ad historiam primi belli sacri spectantes. Innsbrück. 1901.

10. **Michel le Syrien,** Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. Ed. R.H.C. Doc. Arm., I, 309-409 (Paris, 1869).

11. **Raoul de Caen,** Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana. Ed. R.H.C. — H. Occ., III, 587-716.

12. **Robert le Moine,** Historia Iherosolimitana. Ed. R.H.C. — H. Occ., III, 717-882.

13. **Tudebodus abbreviatus,** Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum. Ed. R.H.C. H. Occ., III, 119-163.

ثانياً ـ المراجع الثانوية

(أ) مراجع عربية ومعربة

١ ـ باركر (ارنست) : حروب الصليبية ـ نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العرينى ـ القاهرة ١٩٦٠ .

٢ ـ ديفز (هـ. و. كارلس) : أوربا فى العصور الوسطى ـ نقله الى العربية الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ـ الاسكندرية ١٩٥٨ .

٣ – ديفز (هـ. و. كارلس) : شارلمان – نقله الى العربية الدكتور السيد الباز العريني – القاهرة ١٩٥٩ .

٤ – عمر كمال توفيق (دكتور) : مملكة بيت المقدس الصليبية – اسكندرية ١٩٥٧ .

٥ – فشر (هـ. ا. ل.) : تاريخ أوربا في العصور الوسطى – جزءان – ترجمة الدكتور زيادة والدكتور العريني والدكتور العلوي – القاهرة ١٩٥٠ و١٩٥٧

ب – مراجع أوروبية

1. **Baldwin, M.W.,** The Mediaeval Church. New York, 1960.

2. **Baynes, N.H. & Moss, H. St. (Eds.),** Byzantium. Oxford, 1953.

3. **Chalandon, F.,** Essai sur le Règne d'Alexis Ier. Comnène. Paris, 1900.

4. ————, Histoire de la Première Croisade. Paris, 1925.

5. **Daniel-Rops,** L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade. Paris, 1952.

6. **Diehl, Ch.,** L'Europe Orientale de 1081-1453 (Moyen âge t. IX). Paris, 1945.

7. **Grousset, R.,** Histoire des Croisades. 3 vols. Paris, 1948.

8. **Hagenmeyer,** Le vrai et le faux sur Pierre L'Ermite, trad. F. Raynaud. Paris, 1883.

9. **Mollinier, A.,** Les Sources de l'Histoire de France des Origines aux Guerres d'Italie. Cf. t. II : Epoque féodale, les Capétiens jusqu'en 1180. Paris, 1902.

10. **Ostrogorsky, G.,** History of the Byzantine State. Trans. by J. Hussey. Oxford, 1956.

11. **Paris, G.,** Mediaeval French Literature. trans. from the French by H. Lynch. London, 1903.

12. **Riant, P.,** Inventaire critique des lettres historiques des croisades. Cf. A.O.L.I, 1-224. Paris, 1881.

13. **Runciman, S.,** A History of the Crusades. 3. vols. Cambridge, 1954-55.

تمثال تذكاري يجسد صورة شرطي يتبع شخصي في قوة الطرقة العسكرية

الامبراطور القسطنطين كونستين أينم المسيح